بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 86 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:14\05\2024 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال الكلام في قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

بقي لدينا بعض النقاط في هذه الآية المباركة، ومن هذه النقاط، والتي ندر جداً من أشار إليها:

وهي أن فعل الصبر تعدى الآية للحكم بواسطة اللام، ولم يتعدّ بواسطة على. في العادة تقول: صبرت على أو أصبر على، وفي هذه الآية المباركة ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فتعدى الصبر باللام، فهل المعنى واحد أو يوجد تفاوت؟ أي: لا فرق بين فاصبر على حكم ربك و﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أم يوجد فرق بينهما؟

في حقيقة هذه اللام بدواً يوجد احتمالات:

الاحتمال الأول: اللام بمعنى على، فلا فرق بين القول ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وبين فاصبر على حكم. فيكون المقصود حينئذ من هذه المباركة وما يشابهها من آية الطور وآية القلم هو الأمر بالصبر على حكم الله وقضائه الذي فيه ثقل وشدة على النبي صلى الله عليه وآله أو من يُؤمر بالصبر.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي فاصبر على حكم ربك؛ لأن هذا الحكم وهذا القضاء فيه شدة عليك.

مثلاً: هناك حكم وجه إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام بأن يذبح ابنه، فذات هذا الحكم الإلهي شديد فيحتاج إلى صبر، فهذا صبر على الحكم. فهناك أحكام وقضاء سواء كان هذا القضاء من الشارع بما هو شارع ومقنن أم هذا القضاء كان من الباري تبارك وتعالى بما هو مدبر وحاكم، فعلى كل تقدير قد يكون في هذا القضاء المبرم ثقلاً على المخاطب، فيحتاج إلى الصبر عليه.

الاحتمال الثاني: أن تكون اللام للتعليل ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لأجل حكم ربك. فيكون متعلق الصبر محذوفاً في الآية، ومن المعلوم أن حذف متعلق في اللغة العربية يدل على التعميم، كما في قوله

تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى﴾[1] فمتعلق الإعطاء محذوف، فالآية في مقام الحث على مطلق الإعطاء، فمطلق الإعطاء مرغوب للباري تبارك وتعالى. بخلاف ما لو قطع فإما من أعطى درهماً فقد خصص الإعطاء بالدرهم. فالآية تذكر مطلق الإعطاء هو في مقام المدح، أن يكون الإنسان معطياً هذا ممدوح مع قطع النظر ماذا تعطي ومن تعطي؟ فحذف المتعلق يدل على التعميم.

بناء على اللام للتعليل، فهناك أمر بالصبر، فمتعلق الصبر محذوف، الصبر حث عليه الباري في كل أمر فقيل اصبر لمصلحة حكم ربك، فتكون اللام لام التعليل.

خلاصة المعنى: اصبر على المشقات وعلى أذية المخالف، والذي استفدناه من التأكيد في الآية السابقة، اصبر على كل هذه الأمور الثقيلة عليك؛ لأجل حكم الله وقضائه.

هذه إذا كانت اللام للتعليل فيمكن حينئذ أن يكون المقصود من الآية أحد معنيين:

المعنى الأول: حكم تبارك وتعالى في هذه الآية هو إمهال الكفار وعدم المسارعة إلى إنزال العذاب عليهم. هذا يقتضي بإمهال الكفار وعدم إنزال العذاب عليهم أن يبقى الكفار يواجهون النبي الأعظم ﷺ، وهذا يحتاج إلى تحمل ويحتاج إلى صبر، فتحملهم يا رسول الله ﷺ لأجل مصلحة هذا الحكم الإلهي، والذي هو إمهال الكفار.

المعنى الثاني: أن لا نحدد حكم الله سبحانه وتعالى بحكم خاص، والذي هو الإمهال وعدم تعذيبهم، قضاء الله سبحانه وتعالى بإكمال دينه وبقائه واستمراره -هذا القضاء وهذا الحكم- يحتاج من النبي الأعظم ﷺ إلى صبر وإلى قدرة على التحمل. فكأنه قال اصبر على المشقات التي تواجهك لمصلحة دين الله سبحانه وتعالى ولمصلحة قضاء الله سبحانه وتعالى.

ولعل هذا المعنى -المعنى العام- هو الأنسب.

الاحتمال الثالث: أن تكون اللام للغاية، بمعنى إلى، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: فاصبر إلى حين مجيء حكم الله، فينتهي أمد الصبر إلى حين مجيء قضاء الله وحكمه.

---

[1] الليل: 5

فحينئذ تدل الآية على نوع من التهديد وعلى نوع من الوعيد، فيكون حكم الله وتعالى وقضاؤه بأن يقضي على هؤلاء الكفار. الآن الكفار ما زالوا موجودين فعليك بالصبر إلى أن ينتهي أمدهم ويقضى على شوكتهم، ففيه نوع من الوعيد وهو أن هذا اليوم سوف يأتي.

الاحتمال الرابع: أن تكون اللام للتعدية، ولكن نتصرف في كلمة الصبر، ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: سلّم واستسلم، فاستسلم لحكم الله، من التسليم والاستسلام. وكلمة الاستسلام تتعدى باللام، فاللام لمجرد التعدية؛ لأنها لا تأخذ مفعول به إلا بواسطة حرف الجر. فهذا نوع من التضمين لكلمة الصبر، فلا داعي لقول اللام بمعنى إلى ولا اللام بمعنى على ولا اللام للتعليل، بل هي على أصلها للتعدية، ولكن بتضمين الصبر معنى الاستسلام؛ لأن الصبر لا يتعدى باللام، بل الصبر يتعدى باللام؛ لأن الآية ضمنت الصبر معنى الاستسلام فحينئذ تعدد بواسطة اللام.

هذه احتمالات أربعة في تفسير هذه الآية من ناحية اللام.

فلابد أن نلاحظ المتشابهات حتى نختار شيئاً في هذه الآية، فبالنسبة للآيات المشابهة:

الآية الأولى: في سورة الطور قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾[2] أي: بحفظنا وبرعايتنا، فحينئذ للوهلة الأولى قد يقال إن هذه الآية الواردة في سورة الطور تتناسب مع التعليل، فكأن الباري سبحانه وتعالى قال: فاصبر على ما نطلبه منك لأجل رعاية حكم الله لأنك بأعيننا.

لكن هذا غير واضح من الآية، فسواء قلنا إن اللام بمعنى على أو اللام بمعنى التعليل، ففي كلا الحالتين يتناسب ذلك أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله تحت رعاية الله وحفظه. فكلمة ﴿بِأَعْيُنِنا﴾ لا أحد الاحتمالين.

الآية الثانية: في سورة القلم قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[3] فبما أنه يوجد تشبيه فصاحب الحوت هو يونس عليه السلام، ويونس عليه السلام تارة تريد هذه الآية أن تشبه بيونس عليه السلام بعد دخوله في بطن الحوت، وأخرى تريد أن تشبه بيونس عليه السلام قبل ذلك، فعندما ساهم وخسر المساهمة، أي: عندما أجريت القرعة وهو في السفينة.

---

[2] الطور: 48
[3] القلم: 48

فإذا كان قبل أن يدخل في بطن الحوت، فيونس عليه السلام ضاق ذرعاً بهؤلاء الكفار والمشركين، فالباري تبارك وتعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يصبر على هؤلاء الكفار والمشركين ولا يكن كيونس عليه السلام.

وإذا كان التشبيه بعد دخوله في بطن الحوت ﴿إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُوم﴾[4] وكان نداؤه ﴿فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمين﴾[5].

فعلى كل تقدير لا تصلح هذه الآية المباركة كقرينة على تحديد المراد من اللام، فيتناسب مع كل هذه الاحتمالات التي ذكرناها.

أما المقارنات الأخرى في القرآن الكريم كلمة الصبر في غير هذه الآيات الثلاث تعدت بعلى، بتمام مشتقاتها، والآيات في ذلك متعددة. مجيء هذه الآيات الثلاث تدل على أن هناك نكتة إضافية، لو كانت اللام بمعنى على فلا نستفيد هذه النقطة الإضافية، فيبعد الاحتمال الأول.

أما الاحتمال الرابع فهو بحاجة إلى قرينة، وهو أن نجعل الصبر بمعنى الاستسلام أو نقدر فاصبر مستسلماً، ومجرد وجود هذا الاحتمال لا يبرره في مقام الإثبات وفي مقام تفسير الآية.

فحينئذ يدور الأمر في هذه الآية المباركة بين حمل اللام على التعليل أو حمل اللام بمعنى إلى.

الذي يتناسب مع عمومية الآية ومع أهمية الصبر وأن الإنسان يحتاج إليه في تمام مسيره، هو حمل اللام على التعليل لا على انتهاء الغاية، فالذي يتناسب مع عظمة فضيلة الصبر هو أن عدم حمل اللام على الانتهاء، فيكون الأقرب بحسب الظاهر -والله العالم- نحمل اللام على التعليل، وبالمعنى الثاني الذي ذكرناه، أي: أيها النبي صلى الله عليه وآله المطلوب منك أن يكون لك طاقة على التحمل، وعلى الصبر، وقدرة على ذلك لأجل الحفاظ على قضاء الله سبحانه وتعالى وحكمه بأن يتم دينك وينصرك ويظهر هذا الدين كله على الأديان الأخرى. فهذا كله يحتاج إلى صبر ويحتاج إلى صبر مستمر، وهذا ما كان يتحلى به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

---

[4] القلم: 48
[5] الأنبياء: 87